



## ومضات من أناجيل آحاد شهر كيهك



يُعتبر شهر كيهك موسم التسبيح الكنسي الأول في الكنيسة القبطية بإبداع أحنانه ونغماته المبهجة وسهراته المنعشة، فهو موسمٌ عزيزٌ على قلوب كل المسيحيين، ينتظرونه بتلهُّفٍ واشتياق من عامٍ لعام، فيه نسبح الله ونتنعم ونتغنى بسر التجسد، نفرح بحلول الله فينا ونستعدُّ ليولده في قلوبنا، ونغترف قدر ما نستطيع من البركات المذخورة لنا في سر تجسد الكلمة.

وينقسم شهر كيهك إلى أربعة آحادٍ، الأول هو أحدُ بشارَةِ الملاك جبرائيل لزكريا الكاهن بميلاد يوحنا المعمدان، وفي الأحد الثاني نرى الملاك بعينه يبشر العذراء مريم بميلاد عمانوئيل، يسوع ابن الله، أمّا الأحد الثالث فيحدثنا عن زيارة العذراء لأليصابات وتسبحة مريم الخالدة، بينما يروي الأحد الرابع والأخير ميلاد يوحنا ابن الموعود وتسبحة زكريا.

وسنكتفي في العدد الحالي (ديسمبر) بتقديم ومضات عن الآحاد الثلاثة الأولى على أن نقدّم الأحد الرابع في العدد القادم إن شاء الله.

### الأحد الأول:

بخطواتٍ وثيدة<sup>(١)</sup> يجزُّ زكريا الكاهن الشيخ رجله متثاقلاً، ليدور دورته الطقسية حول المذبح، وبذراعه الكليّة ينثر بخوره من مجمرته يميناً وشمالاً، مردداً صلواته السرية القلبية عن نفسه وعن جيرانه وعن قرن الخلاص المنتظر وعن رجاء إسرائيل. لكنه على غرةٍ يجد أمامه جبرائيل الملاك المنير واقفاً مُطّاراً عن الأرض فارداً أجنته البديعة، ضاماً يديه على صدره آخذاً وضع صلاةٍ، بوجهٍ يتألأأ فرحاً، حاملاً له بشارَةً لم يكن يتوقعها ولا حلم بها،

(١) هذه الخطوات الوثيدة وقّعها مؤلف لحن مزموّر التوزيع الكيهكي إلى هزات متباطئة في أوله، والذي يتمتع في لحن هذه الأليلويا الأربع يجدها متكافئة ومتناسبة ومتوازنة مع أحداث أناجيل آحاد شهر كيهك الأربعة.

بميلاد يوحنا؛ فوقف مشدوهاً مأخوذاً من الرؤيا. أخذ وأعطى مع الملاك ثم بقي صامتاً غير مصدقٍ، فتعثر في خطواته وتباطأ في خروجه. وبقي المصلون خارجاً قلقين وحائرين، أخيراً خرج صامتاً فكلمهم بالإشارة ففهموا أن أمراً ما قد حدث.

في هذا الأحد نرى أن الله لا ينسى طلباتنا بل يذكرها<sup>(٢)</sup> وإن نسيناها نحن أو تناساها الدهر، وإن بدا أن الله يتأخر في الاستجابة فهذا لأنه ينتظر ملء الزمان. وفي أناته نستوثق نحن من إيماننا به وسماعه صلواتنا واستجابة دعائنا، ويستوثق هو من حبنا له. فأحياناً يسمح الله بتعطل إنجاب نسلٍ ليعطينا فرصة للصلاة، ليس من أجلنا فقط، بل لنصلي لأجل كل من يجتاز في نفس محنتنا.

وغالباً ما يختلف ابن الصلاة عن الابن المعتاد، فهو مهياً أن يكون مباركاً ومقدساً ومفرراً للرب، وما أكثر البراهين على ذلك. فإسحق ابن الموعد كان ابناً لأبينا إبراهيم أبي الإيمان بعد ربع قرن من العقم، ويعقوب أبو الأسباط كان ابن إسحق أبينا الذي صلى لأجل زوجته رفقة العاقر، ويوسف العفيف كان ابناً ليعقوب وراحيل بعد عقرٍ دام طويلاً، وشمشون القاضي القوي هو ابن منوح البار وزوجته التقية، التي تحفظت من كل ما قاله لها ملاك الرب<sup>(٣)</sup>، وصموئيل النبي هو ابن حنة المسكينة ذات الصلاة القوية، واليوم نرى يوحنا المعمدان أعظم مواليد النساء ابناً لزكريا الكاهن وأليصابات. ويعوزني الوقت إن أخبرت عن شهداء وقديسين كثيرين - هم ثمرة صلوات أبويهم- قدّموا حياتهم بخوراً زكياً للآب السماوي. انتظر الرب أيها الحبيب فمنتظرو الرب يجددون قوة (إش ٤٠: ٣١).

كان كلُّ ما حلم به زكريا مجردَ طفلٍ عاديٍّ، وأما الله فأعدَّ له ابناً موعوداً، بل نبياً، بل أعظم من نبيٍّ، لا بل ملاكاً، بل أعظم مواليد النساء. وكل ما وعد به الله زكريا بفم الملاك تحقق تماماً.

النبوة	تحقيقها
قال الملاك: وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا (لو ١: ١٣)	ثُمَّ أَوْمَأُوا إِلَى أَبِيهِ، مَاذَا يُرِيدُ أَنْ يُسَمَّى. فَظَلَبَ

(٢) معنى اسم زكريا "الله يذكر أو يتذكر".

(٣) قض (١٣: ١٣، ٧-١٤).

النبوة	تحقيقها
	لَوْحًا وَكَتَبَ قَائِلًا: «اسْمُهُ يُوحَنَّا» (لو ١: ٦٢-٦٣)
وَيَكُونُ لَكَ فَرْحٌ وَابْتِهَاجٌ، وَكثيرونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلَادَتِهِ، (لو ١: ١٤).	وَسَمِعَ جِيرَانُهَا وَأَقْرَبَاؤُهَا أَنَّ الرَّبَّ عَظَّمَ رَحْمَتَهُ لَهَا، فَفَرِحُوا مَعَهَا. (لو ١: ٥٨)
لأنَّهُ يَكُونُ عَظِيمًا أَمَامَ الرَّبِّ (لو ١: ١٥).	أَلْحَقَ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمُؤَلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، (مت ١١: ١١).
وَحَمْرًا وَمُسْكِرًا لَا يَشْرَبُ (لو ١: ١٥).	لأنَّهُ جَاءَ يُوحَنَّا لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ (مت ١١: ١٨).
وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. (لو ١: ١٥).	فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلْيَصَابَاتُ سَلَامَ مَرْيَمَ ارْتَكُضَ الْجَنِينُ فِي بَطْنِهَا، وَامْتَلَأَتْ أَلْيَصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَصَرَخَتْ «... هُوَذَا جِئْتُ صَارَ صَوْتُ سَلَامِكَ فِي أُذُنِي ارْتَكُضَ الْجَنِينُ بِابْتِهَاجٍ فِي بَطْنِي. (لو ١: ٤١-٤٤).
وَيَرُدُّ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ إِلَهُهِمْ. (لو ١: ١٦).	حِينَئِذٍ خَرَجَ إِلَيْهِ أَوْرَشَلِيمُ وَكُلُّ الْيَهُودِيَّةِ وَجَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالْأُرْدُنِّ، وَاعْتَمَدُوا مِنْهُ فِي الْأُرْدُنِّ، مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ (مت ٣: ٥-٦).
وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ، لِيَرُدَّ قُلُوبَ الْآبَاءِ إِلَى الْآبَاءِ، وَالْعَصَاةِ إِلَى فِكْرِ الْأَبْرَارِ (لو ١: ١٧).	وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا، فَهَذَا هُوَ إِيلِيَّا الْمُرْمَعُ أَنْ يَأْتِيَ. (مت ١١: ١٤) وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ إِيلِيَّا يَأْتِي أَوَّلًا وَيَرُدُّ كُلَّ شَيْءٍ. حِينَئِذٍ فَهَمُ التَّلَامِيذُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ عَنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ. (مت ١٧: ١١-١٣).
لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْبًا مُسْتَعِدًّا» (لو ١: ١٧).	فَإِنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي قِيلَ عَنْهُ بِاشْعِيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً» (مت ٣: ٣).

عرفنا أن البشارة الأولى هي رد فعل واستجابة لصلوات زكريا وأليصابات، أمّا في هذه البشارة الثانية فالله هو الذي حمل على عاتقه زمام المبادرة. البشارة الأولى لها في العهد الأول من المسبّقات ما يؤيدها، ولكنّ البشارة الثانية فريدة من نوعها وستظل كذلك. هنا الله يدعو العذراء لتكون أمّاً له بصورة أكثر إيضاحاً مما رآه موسى في العليقة. وأمومة العذراء لله صارت هي المصدر والينبوع لكل تطويب لها، لذا فتدعوها الكنيسة الممتلئة نعمة. يقول عنها ق. أثناسيوس: [مملوءة نعمة لأنها بكونها ممتلئة من الروح القدس ومظلل عليها بقوة العلي، فهي مغمورة بكل النعم]<sup>(٤)</sup>.

في مهمة جديدة يطير جبرائيل إلى العذراء ليبشرها بميلاد عمانوئيل. يعطيها السلام ويطلبها ويبشرها بميلاد يسوع منها. وبعد تعجّب العذراء وشرح الملاك بإيجاز عن كيفية الحبل الإلهي، تفهم العذراء جزئياً<sup>(٥)</sup> معنى وغرض التجسد وتعي أن المولود منها هو ابنُ الله. يتوارد على قلبها نبوات الأنبياء ورجاء الآباء وأنينهم، ومُلك داودَ وتحقيقُ الوعد، فتفرح وتؤمن بالمستحيل. العذراء هنا تؤمن بإيمانٍ يفوقُ في قيمته إيمانَ إبراهيم. العذراء في إيمانها أضافت أبعاداً روحيةً للإيمان، بل نتجراً ونقول إنها دشّنت مفهوماً جديداً للإيمان. إنه الإيمان بالمستحيل بل بما هو فوق المستحيل، الإيمان بأن ليس شيءٌ غير ممكنٍ لدى الله، الإيمان الذي فيه الله هو الكل في الكل، الإيمان بقيمة ما يعمله الثالث فينا، الإيمان الذي يقدر أن يجعلنا نتمخض إلى أن يولد المسيحُ فينا. والصعوبة التي تعوقنا عن السلوك بهذا الإيمان هي سهولته؛ وهي أن ندرك أن الله هو العامل فينا أن نريد وأن نعمل، يكفيننا فقط أن نهيبَ قلوبنا ونقول «لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ».

قال لها الملاك «أَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكَ» (لو ١: ٣٥). في الحلول والتظليل هذا إشارة صريحة بأن العذراء صارت تابوت عهدٍ جديدٍ كتلميحٍ لتابوت العهد الأول، الذي كان يحل عليه مجدُ الإله يهوه متمثلاً في الشاكيناه، والتي فيها كان يُعلنُ اللهُ

(٤) عظة في بشارة والدة الإله PG 28,929B

(٥) ربما لا نستطيع أن نقول إنّ العذراء وعت سر التجسد بأكمله وفي هذا يظهر عمق وأصالة إيمانها.

حضوره من بين الكاروتين المظللين على الغطاء كل حين<sup>(٦)</sup>. فنقرأ في سفر الخروج: «وَأَنَا أَجْتَمِعُ بِكَ هُنَاكَ وَأَتَكَلَّمُ مَعَكَ، مِنْ عَلَى الْغِطَاءِ مِنْ بَيْنِ الْكَرْوَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ، بِكُلِّ مَا أُوصِيكَ بِهِ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ» (خر ٢٥: ٢٢)، «ثُمَّ غَطَّتِ السَّحَابَةُ خَيْمَةَ الْجَمْعِ وَمَلَأَتْ بِهَاءِ الرَّبِّ الْمَسْكَنَ» (خر ٤٠: ٣٤)<sup>(٧)</sup>. وحلول الروح القدس على العذراء فيه إشارة إلى الخليقة الجديدة في المسيح، لأننا نقرأ في الخليقة العتيقة أن «وَرُوحُ اللَّهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ» (تك ١: ٢).

### الأحد الثالث:

تطير مريم العذراء الحمامة الحسنة - محمولة على أجنحة الروح القدس - بسرعة واجتهاد لزيارة أليصابات قريبتها العجوز وهي حامل في الشهر السادس. هناك بين واسع بين العذراء الفتاة الصغيرة وأليصابات العجوز، في السن والتفكير والسبب والثقافة. ولكننا نرى هنا أن الروح القدس هو نقطة تلاقي الأجيال والثقافات والأعراق والأنساب. الروح القدس يتسامى فوق العادات والتقاليد والموروثات والطباع الشخصية. حضور المسيح والروح القدس يستطيع أن يختزل كل المسافات، فيزيل الفوارق ويبني جسور النعمة بين قلوب الآباء وقلوب الأبناء بل وبين الأعداء «فَصَارَ بِيْلَاطُسُ وَهِيْرُودُسُ صَدِيقَيْنِ مَعَ بَعْضِهِمَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِأَنَّهُمَا كَانَا مِنْ قَبْلُ فِي عَدَاوَةٍ بَيْنَهُمَا» (لو ٢٣: ١٢). ومع ذلك لا يُشترط أن يعمل الروح بنفس الطريقة في الأجيال، ولا يمكن الحكم على طريقة ما أنها لا تخضع لعمل الروح، فحيث روح الرب فهناك حرية. وليس هناك داعٍ لأن يفرض الآباء على الأبناء أن يسيروا بنفس منهجهم، ولا أن يحكم الأبناء بعنق وعقم منهج الآباء، دعوها ينميان كليهما، لأن الله هو الذي يُنمي.

أليصابات هنا هي نموذج للنفس التي بمجرد أن تمتلئ من الروح القدس تستطيع بسهولة عجيبة وتلقائية مباشرة أن تتحسس المسيح في قلوب الذين حولها فتتحرك أحشاؤها وتتضع أمامهم، وتشعر في قلبها بعدم استحقاقها الشركة مع هذه القلوب المباركة

---

(6) William Hendriksen and Simon J. Kistemaker, *New Testament Commentary*, Vol. 11, *Exposition of the Gospel According to Luke* (Grand Rapids: Baker Book House, 1953-2001), p. 88.

(٧) انظر أيضًا: (إش ٦٠: ٢؛ مت ١٧: ٥؛ لو ٢: ٩؛ رو ٩: ٤).

فتطوبها، وهنا يظهر ثمر الروح داخل قلب أليصابات في صورة معرفة واتضاع وامتنان وحب. كانت أليصابات تعي تمامًا عدم استحقاقها ولم يدخل الحسد<sup>(٨)</sup> قلبها مطلقًا وفرحت بصدقٍ لفرح مريم جدًا فكانت تسبحتها مملوءة بالحب.

العلماء يقسمون تسبحة العذراء (التعظمة Magnificat) إلى أربعة أرباع (مقاطع شعرية stanzas / strophes). المقطع الأول (لو ١: ٤٦-٤٨) وفيه العذراء تعظم الله على صنيعه معها رغم مذلتها. المقطع الثاني (لو ١: ٤٩-٥٠) عندما يبلغ هذا التمجيد ذروته "اسمه قدوس" يتسع أفق العذراء الروحي ليتركز ويتأمل ليس فقط في ما عمله الله معها، بل في المحبة الإلهية التي استعلنت «من جيل إلى جيل للذين يخافونه». المقطع الثالث (لو ١: ٥١-٥٣) يوضح معاملات الله مع الذين لا يخافونه. المقطع الرابع (لو ١: ٥٤-٥٥) يوضح أن رحمة الله التي أظهرت هي تكميل لوعده الذي أعطاه لأبائنا<sup>(٩)</sup>.

وقد لاحظنا رغم تسبحة أليصابات المملوءة بالحب وتسبحة العذراء مريم المملوءة بالإيمان، وحالة الامتلاء بالروح التي هيمنت عليها وعلى أليصابات وجنيتيهما، إلا أنه لا توجد أية ذكصولوجية تتوافق ليتورجيًا مع قراءات الأحد الثالث. من ثمَّ كان هناك احتياجٌ لذكصولوجيا إنجيلية توثق وتُخلد حدثًا جليلاً ونصًا إنجيليًا في غاية الإبداع وهو زيارة العذراء لأليصابات وتسبحة مريم الخالدة. من هنا نقدم هذا المقترح المقتبس في معظمه من النص الإنجيلي.

<p> <b>Ἦεν νη̅ε̅ροο̅ν̅ ἔτε ἡμα̅ν̅ : Ὑα̅ρια</b>  <b>α̅ς̅ω̅εν̅α̅ς̅ ἑ̅πι̅τω̅ον̅ : ἑ̅ο̅ν̅βα̅κι̅ ἡ̅ν̅τε</b>  <b>Ι̅ο̅υ̅δα̅ : α̅σε̅ρ̅ α̅σ̅πα̅ζ̅α̅ς̅θ̅ε̅ ἡ̅ Ἑ̅λι̅σα̅βε̅τ̅.</b> </p>	<p> <b>في تلك الأيام: ذهبت مريم</b>  <b>إلى الجبل: إلى مدينة من يهوذا:</b>  <b>وسلمت على أليصابات.</b> </p>
<p> <b>Ἑ̅λι̅σα̅βε̅τ̅ ε̅τα̅ς̅ς̅ω̅τε̅μ̅ : ἑ̅πι̅α̅ς̅πα̅ς̅μο̅ς̅</b>  <b>ἡ̅ Ὑ̅α̅ρια̅ : πι̅μα̅ς̅ α̅ϣ̅κι̅μ̅ ἔ̅εν̅ τε̅ς̅νε̅χι̅ :</b>  <b>α̅ς̅μο̅ς̅ ἔ̅εν̅ πι̅Π̅νε̅υ̅μα̅ ε̅θο̅υ̅α̅β̅.</b> </p>	<p> <b>فلما سمعت أليصابات: سلام</b>  <b>مريم: ارتكض الجنين في بطنها:</b>  <b>وامتلأت بالروح القدس.</b> </p>
<p> <b>Ἀ̅ς̅ω̅ϣ̅ ἑ̅βο̅λ̅ ἔ̅εν̅ ο̅ν̅ν̅ι̅ϣ̅†̅ ἡ̅ ἑ̅μ̅η̅ : χ̅ε̅</b>  <b>τε̅ς̅μα̅ρ̅ω̅ον̅†̅ ἡ̅θ̅ο̅ ἔ̅εν̅ νη̅ι̅ο̅μ̅ι̅ :</b> </p>	<p> <b>وصرخت بصوت عظيم:</b>  <b>مباركة أنت في النساء: ومبارك</b> </p>

(٨) «المحبة لا تحسد» (١ كو ١٣: ٤).

(٩) William Hendriksen and Simon J. Kistemaker, op. cit., p. 103.

᾿εῖς μαρωοῦτ ἡχε πεκαρπος : κε τοῦτο ποθεν μι.	ثَمَرُكَ: فَمِنْ أَيْنَ لِي هَذَا ؟
Χε ἡμασνοῦτ ἰ χαροι : ιχεν χαρ αισωτεμ ἑπεασπασμος : δεν ναμαωχ πιμας αχκιμ : δεν οὔθεληλ δεν τανεχι.	أَنْ تَأْتِيَ إِلَيَّ أُمُّ اللَّهِ : لِأَنَّهُ مُنْذُ سَمِعْتُ سَلَامَكَ : فِي أُذُنِي ارْتَكُضَ الْجَنَيْنُ : بَابْتِهَاجٍ فِي بَطْنِي.
Ουοε πεχε Uαρια χε : ταψιτην ᾿σβιςι ᾿μΠοε : απαπνευμα θεληλ ἑχεν πασωτηρ : χε αχχοῦῡτ ἑχεν παθεβιο.	فَأَجَابَتْ مَرْيَمُ وَقَالَتْ : تُعْظِمُ نَفْسِي الرَّبِّ : وَتُبْتَهِجُ رُوحِي بِمُخَلِّصِي : لِأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى وَضَاعَتِي [مَذَلَّتِي] .
Θηππε χαρ ιχεν ἡμοῦ : σεναερμακαριζιν ᾿μμοι : ἡχε νιzeneα τηροῦ : χε φηετχορ αχιρι νηι ἡθανμετηῡτ.	لِأَنَّهُ هُوَذَا مُنْذُ الْآنَ : سَتُطَوَّبُنِي : جَمِيعُ الْأَجْيَالِ : لِأَنَّ الْقَدِيرَ صَنَعَ بِي عَظَائِمَ.
Ουοε πεφραν πε ᾿φοταβ : ουοε πεφναι ῡοπ ῡα ἑνεε : ις zeneas κε zeneas : ἡνηετερεοῡτ δατεφzη.	وَأَسْمُهُ قُدَّوسٌ : وَرَحْمَتُهُ إِلَى الْأَبَدِ : إِلَى أَجْيَالٍ وَأَجْيَالٍ : لِلَّذِينَ يَخَافُونَهُ.
Αῡιρι᾿νοῡκρατος δεν πεῡχφοι : αῡχωρ ἑβολ ἡηιβαςιzητ : δεν ᾿φμετι ἡτε ποτzητ : αῡβιςι ἡνηετθεβινοῡτ	صَنَعَ قُوَّةً بِذِرَاعِهِ : شَتَّتَ الْمُسْتَكْبِرِينَ : بِفِكْرِ قُلُوبِهِمْ : وَزَفَعَ الْمُتَضَّعِينَ.
Αῡττοῡτῡ ᾿μΠιcραηλ : ἑερ᾿φμετι ᾿μπεφναι: καθως εταφσαχι nem nenioῡτ: Αβρααμ nem πεῡσπερμα.	عَصَا إِسْرَائِيلَ : لِيَذْكُرَ رَحْمَتَهُ : كَمَا كَلَّمَ آبَاءَنَا : إِبْرَاهِيمَ وَنَسْلَهُ .
Ανοη zων tenbici ᾿μμο : nem Ελiαβετ ω ἡπαρθενος : χε τεσμαρωοῡτ ἡθο δεν νιzιομ : ουοε ᾿εῖς μαρωοῡτ ἡχε πεκαρπος.	وَنَحْنُ أَيْضًا نُعْظِمُكَ : مَعَ أَلْيَصَابَاتِ أَيُّهَا الْعِذْرَاءُ : مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ : وَمُبَارَكٌ ثَمَرُكَ.
Χερε νε ω ἡπαρθενος .....	السلامُ لِكَ أَيُّهَا الْعِذْرَاءُ .....
Ἰενῡεο αρι πενμετι .....	نَسْأَلُكَ اذْكُرِينَا أَيُّهَا .....